

الأمثال في القرآن الكريم

(107) ج: (وَلَا يَذُّوْا لَمْ تُوْٓمِّنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِّيَٰطَمَئِنَّٓ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّٓ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّهُنَّ آٰتُونَ زُكْرًا). (1) ولا يخفى ما فيها من الضعف، أمّا الآية الأولى فلأنّ المراد من التمثيل هو التشبيه الذي يصور فيه غالباً غير المحسوس بالمحسوس ويقرّب المعنى إلى ذهن المخاطب، ولكن التشبيه في الآية الأولى الذي قام به مناظر إبراهيم كان تشبيهاً غير صحيح، وذلك لأنّه لمّا وصف إبراهيم ربّه بأنّه يحيي ويميت أراد منه من يضيف الحياة على الجنين ويقبضه عندما يقطع في السن، ولكن المناظر فسّره بوجه أعم وقال: أنا أيضاً أُحيي وأُميت، فكان إحياءه بإطلاق سراح من كُتِبَ عليه القتل، وقتل من شاء من الأحياء، مع الفرق الشاسع بين الأحياء والاماتة في كلام الخليل وكلام المناظر، فلم يكن هناك أي تشبيه بل مغالطة واضحة فيه. وأمّا الآية الثانية، فلم يكن هناك أي تشبيه أيضاً، لأنّه يشترط في التمثيل الاختلاف بين المشبه و المشبه به اختلافاً نوعياً، كتشبيه الرجل الشجاع بالأسد ومُحمّرّ الشقيق بأعلام الياقوت، وأمّا الآية المباركة فإنّما هي من قبيل إيجاد مرثّل للمشبه، فالرجل لما مرّ على القرية الخاوية على عروشها و قد شاهد بأنّه باد أهلها ورأي عظاماً في طريقها إلى البلاء فقال: (كيف يحيي هذه ا بعد موتها) فأماتته ا سبحانه مائة عام ثم أحياه كما هو ظاهر الآية، وعلى ذلك فأوجد مرثلاً للمشبه مع الوحدة النوعية وإنّما الاختلاف في الصنف، وقد عرفت لزوم وجود التباين النوعي بين المشبه و المشبه به.